الحركات الهدامة: المخدرات والزندقة

الدكتور عمران إسماعيل فيتور

جامعة درنة

المقدمة

اطلعت علي المطوية الصادرة عن الجامعة الأسمرية للعلوم الإسلامية، التي تعلن عن إقامة ندوة علمية في العشرين من رمضان المبارك بعنوان (الإسلام ينبذ التطرف)، فأحببت المشاركة في هذه الندوة، في المحور الثالث: الزندقة والحركات الهدامة، وقد ركزت علي المخدرات، باعتبارها العدو الغادر للإنسان، والزندقة بوصفها خروجاً عن الدين الإسلامي وكفراً، والعياذ بالله .

إن هاتين الظاهرتين خطيرتان، وتعكسان آثاراً سلبية علي المجتمع الذي تتفشيان فيه، وهما محرمتان تحريماً قطعياً ثابتا، ولا يمتّان بصلة إلى الإسلام، ويعوقان حركة تقدم المجتمع، ويضرّان به ضرراً بالغاً، يقوض أركانه ويزلزل بنيانه، ويحطم أواصره، ويهدم تماسكه، لذلك كتبت مشاركاً بهذا البحث المتواضع الموسوم بالحركات الهدامة: المخدرات والزندقة.

إن العقيدة الإسلامية تغرس في نفوس الناشئة حب الخير،

والتعاون علي البر والتقوى، وتؤكد أن الجسم السليم والعقل السليم لا يضل صاحبه، ولا يشقي بحكم تفاعله مع المجتمع لجلب ما يصلح له، والابتعاد عمّا يضرّ به، فهي سلوك قويم، وثقافة متميزة، وتراث حافل يؤكد عظمة الدين وقوة العقيدة وسماحة الإسلام، ويتفاعل الإنسان المسلم مع بيئته الطبيعية دون خوف أو وجل بعيداً عن كل الشوائب، والمحرمات التي لا يقرها الدين، ولا تدعو إليها الشريعة السمحة. فالإسلام ينبذ التطرف، ويدعو إلي الالتزام الخلقي، ويدعو إلي الاعتدال في التدين، والتعاون على البر والتقوى في يسر وسهولة.

أولا: المخدرات

تعريف المخدرات

خدر يخدر خدراً، فهو خادر وخدور، وخدر الشيء: ستره، وخدرت المرأة استترت في الخدر، والأسد لزم عرينه وأقام به، وخدر الشخص : اعتراه العثور والاسترخاء، نتيجة تعاطيه مخدراً، وتخدرت رجله أو يده: تشنجت أو استرخت، فلم تستطع الحركة، وخدّر يخدُر تخديراً: إعطاء الطبيب مادة مخدرة لتعطيل الإحساس، والمخدر: ما يفقد به الإحساس، وهو عام يشمل الجسم جميعه، وموضعي في منطقة معينة، والمخدرات مادة تسبب فقدان الوعي كالحشيش والأفيون، والإدمان علي المخدرات: التعود علي تناولها. والمخدرات والمؤثرات العقلية أصبحت مرض العصر، وانتشرت في الوطن العربي انتشاراً كبيراً وبخاصة بين الشباب الذي نؤمل عليه تحمل أعباء المسؤولية في تقدم الأمة العربية.

والمخدرات ليست شيئا جديداً، فقد عرف الأقدمون الخمر وأنواعها، وتغنى بها الشعراء، وتحدث عنها الأدباء باعتبارها عقاراً ينقلهم من الواقع إلي الخيال، وجاء الإسلام وحرم الخمر علي مراحل، وبيّن أن مضارها أكثر من نفعها، وأكد الشرع علي أن ما كثيره مسكر فقليله حرام ، واستخدم الصينيون نوعاً من المخدرات في علاج كثير من الأمراض، وتطور هذا المستحضر مع مرور الزمن فأصبح اليوم سلعة رائجة يهرب به الشباب من حياة الواقع، وأطلقوا عليه تسميات غريبة، مثل عقار السعادة، وعقار الهلوسة... الخ. وقد شكل هذا المرض السرطاني بؤرة فساد في المجتمع، وأحدث اضطراباً في البنية الاجتماعية مما أفقد الشباب توازنهم، وحرمهم من مواصلة دراستهم وأصبحوا لقمة سائغة في فم أعدائهم، فهذا يتعاطى الأقراص،

وهذا يستعمل الحقن، وذاك يستنشق المساحيق المسمومة، وكل يغني علي ليلاه، ويحلم بأن السعادة تكمن في تعاطي هذه الجرعة أو تلك الحبة اللعينة.

ولقد سارعت الجهات الرقابية والجهات التربوية في جماهيريتنا إلى محاربة هذه الظاهرة المشينة والتصدي لها عن طريق وسائل الإعلام والنشر، والوعظ والإرشاد في المساجد والمؤسسات التعليمية، وسنت القوانين والتشريعات التي تمنع انتشارها والاتجار بها، وشجعت الدراسات البحثية الميدانية للحد منها، وما اجتماعنا في هذه الندوة إلا حلقة من حلقات الدراسات البحثية المعمقة للقضاء علي هذه الظاهرة السلبية.

أسباب التعاطي

1. عدم التركيز على التربية في المنزل،وكثرة شجار الوالدين.
2. عدم مراقبة الآباء أبناءهم مراقبة جيدة في مراحل معينة من العمر وبخاصة في سن المراهقة.
3. السماح للأبناء باللعب في الشوارع بغية التخلص من وجودهم في البيت.
4. رفاق السوء حيث يقوم هؤلاء الرفاق بتشجيعهم ودفعهم إلى سوء العاقبة.
5. مشاهدة الأشرطة دون متابعة عاقبة الانحراف وما يجرّ علي المجتمع من الويلات.
6. طلاق الأم، ويتم الابن، وفقر الأسرة عوامل تؤدي إلي انحراف بعض الشباب حيث ينعدم دور الرقابة.
7. الفراغ الديني، وعدم توجيه الأبناء إلي ما ينفعهم في دينهم ودنياهم.
8. عدم تأدية روابط الشباب والمراكز الرياضية والأندية الاجتماعية دورها الاجتماعي الكامل.
9. توفر المادة المخدرة في الأسواق، وسهولة الحصول عليها بكل يسر.

طرق الوقاية من المخدرات

1. الاهتمام بدور الأسرة والتأكيد عليه، لأن رعاية أبنائنا واجبة، فكل مولود يولد علي الفطرة.
2. فرض القوانين والتشريعات الرادعة لمن تسول له نفسه بيع أو شراء، أو صناعة أو تجارة أو زراعة المخدرات والمؤثرات العقلية للحد منها، ومكافحة الاتجار بها أو تعاطيها.

3. الاهتمام بوسائل النشر والإعلام لخلق توعية إعلامية بين الشباب وبيان الأضرار التي تعود علي المجتمع جراء تعاطي المخدرات .
4. رعاية الأيتام ومن لا عائل لهم حتى لا يقعوا فريسة في أيدي العابثين.
5. التنسيق مع الأمن الشعبي المحلي والهيئات المحلية والعربية والعالمية لمكافحة المخدرات.
6. تعديل المناهج الدراسية في جميع مراحل التعليم لمحاربة هذا السم القاتل.
7. الاهتمام بالمؤسسات التعليمية والنوادي الشبابية لشغل أوقات فراغ الشباب وإجراء المسابقات العلمية والثقافية والرياضية.
8. فتح فرص العمل للعاطلين للقضاء علي جميع أنواع البطالة التي تؤدي إلي الهروب من الواقع.
9. مراقبة الأبناء مراقبة جيدة، وحثهم علي عمل الخير، وشغل أوقات فراغهم بما يعود عليهم بالخير والصحة.
10. محاربة الغزو الثقافي بجميع صوره وأشكاله والتصدي له وفضح أسلوبه المبني علي سياسة تضييع الشباب والقضاء علي مستقبلهم.

ثانيا : الزندقة

تعريف الزندقة لغة

الزنديق: القائل ببقاء الدهر، وهو بالفارسية (زندكراي) أي القائل بدوام الدهر، والزندقة: الضيق، وقيل: الزنديق منه، لأنه ضيق علي نفسه، والزنديق معروف، وزندقته أنه لا يؤمن بالآخرة ووحدانية الخالق[1].

تعريف الزندقة اصطلاحاً

اصطلاحاً: وضع أمور جديدة ليست من الدين في شيء... وإنما تقول العرب : رجل زندق وزندقي : إذا كان شديد البخل، وإذا أرادت العرب معنى ما تقوله العامة قالوا: ملحد ودهري... وقال ابن دريد: الزنديق فارسي معرب كان أصله زنده كرد... زنده: تعني الحياة، كرد: تعني العمل أي القائل بدوام الدهر[2].

(1) لسان العرب 2 :51 مادة (زندق).
(2) المعرب للجواليقي: 166 باب الزاء.

معنى الزندقة قبل الإسلام

الزنديق هو الذي يعدل عن ظاهر إلي مؤول من خلال تعريفنا للكلمة، وكان كتاب زرادشت اسمه زنده، فيقال زنديه، وبالتدريج حولته العرب إلي زنديق، ثم دخل فيه كل من خالف الظاهر إلي الباطن المنكر، جاء في تاريخ ابن خلدون: (كان ماني الثنوي الزنديق صاحب القول بالنور والظلمة قد ظهر أيام سابور، ولما ولي بهرام بن هرمز جمع الناس لامتحانه فأشاروا بكفره وقتله وقالوا زنديق)[1].

ويرى الخوارزمي أن الزنديق أحد أتباع مزدك الذي انشق عن ماني، وهكذا تكون كلمة الزندقة قد وضعت لطائفة خاصة من المانوية، وبذلك يمكن حصر هذه الكلمة قبل الإسلام، في نسبتها إلي كلمة زندي بالفارسية المأخوذة من كتاب زرادشت الذي اسمه زنده فيقال: زنديه، ثم حرفت إلي زنديق أو نسبة إلي الثنوية أتباع ماني ومزدك، ولا فرق بين أن يكون الزنديق فارسياً أو عربياً، لأن هناك من العرب من اتبع المزدكية أو المانوية إبان خضوع إمارة الحيرة للحكم الفارسي.

وكيف تتجلى أسرار الملكوت لقوم إلههم هواهم.. ومعبودهم سلاطينهم ..وقبلتهم الدرهم والدينار، وعبادتهم شهواتهم، وشريعتهم شريعة الغاب، القوي يأكل الضعيف، وفكرهم في ملذاتهم، وإرادتهم جاههم، يصنعون الآلهة من التمر وإذا جاعوا أكلوها، فتعساً لهم وأحبط أعمالهم.

الزندقة في الإسلام

الإسلام دين العزة والمجد والتعاون والرفاهية والرخاء، ومع ذلك لم يسلم في عصر من العصور من شبهات الحاقدين وطمع الطامعين، وطغى الأعداء والمارقون ممن كانوا يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، أو من خصومه المشركين سواء أكانوا مستعمرين أم مستشرقين، وما فتئت هذه الزمرة الحاقدة علي الإسلام تكيل له الكيل تارة في السر، وأخري في العلن طعناً في تعاليمه السمحة، سواء بخلطها أو تأويلها مع ما يتفق مع معتقداتهم الإلحادية وأهوائهم الفاسدة.

إن هذه الزمرة الحاقدة هي زمرة الزنادقة التي كانت حرباً شعواء علي الإسلام والمسلمين، أذكى نيرانها المجوس واليهود واتّبعهم بعض المرضي من الحاقدين حيث اتخذ هؤلاء الزنادقة من التستر بالإسلام شعاراً لهم لخدمة مآربهم الخاصة وصولاً

(1) تاريخ ابن خلدون 2 : 346.

إلي هدفهم في القضاء علي الإسلام والمسلمين، انظر إلى هذا الماجن ويدعى آدم، حفيد عمر بن عبد العزيز الذي اشتهر بالزندقة، وانظر إلي هذه الكلمات التي جرت علي لسانه :

اسقني واسق خليلي في مـــدى الليل الطويل
لونـــها أصفر صـاف وهـي كالمسك الفتيل
في لســـان المرء منها ساطعا مـــن رأس ميل
مـــن ينل منهـا ثلاثاً ينس منهـــاج السبيل
فمتى مـا نال خمساً تركتـــه كالقتيـــل[1]

والخلاصة أن الزندقة في الإسلام شملت عدة معان هي:

1 - الزنديق: القائل بالثنوية (النور والظلمة) أتباع ماني ومزدك المجوسيين.
2 - الزنديق: المتتبع ديناً ما باطناً، مع اعتناقه للإسلام ظاهراً.
3 - الزنديق: من يبطن الكفر ويظهر الإيمان وهو ما سمي في صدر الإسلام (بالمنافق).
4 - الزنديق الملحد الذي لا يؤمن مطلقاً.
5 - الزنديق: المستهتر بأمور الدين، الماجن دون التصريح بالكفر خوفاً من بطش السلطان.

والزندقة في الإسلام هي الخروج عن الدين الإسلامي مع اعتقاد الكفر، سواء كان الخروج معلناً أو خفياً والمعلن سُمي مرتداً، والخفي سُمي منافقاً، وقال تعالي في شأنهما: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ (سورة محمد/25). وقال أيضا: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ (سورة النساء/142). وقال سبحانه: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ (سورة التوبة/64). وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (سورة الأنعام/7).

ولله در القائل:

كل العداوات قد ترجى سلامتها إلا عداوة من عاداك من حسد

(1) الزندقة والزنادقة: 159.

فاحذر عداوة الحساد والفساق، فلو كان فيهم مطمع أو رجاء لخافوا من قيوم الأرض والسماء، واتبعوا رضوان اللّه سبحانه وتعالى :﴿ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى ﴾ (سورة النجم/29 ـ 30)

أهداف الزنادقة وغاياتهم

الزنادقة قوم انحرفوا عن الطريق باختيارهم، ومن انحرف بإرادته نتيجة مرض أصابه لا بد أن يخطط للوصول إلي غاية يسعى إلي تحقيقها، من خلال هذا المسلك المشين، وأهم الأهداف التي يسعون إلى الوصول إليها هي:

1. تدمير الإسلام والقضاء عليه، وقد وعدنا اللّه سبحانه بحفظه إلي يوم القيامة قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (سورة الحجر/9).
2. القضاء علي القومية العربية باعتبار أن هذه الظاهرة وجدت وانتشرت بين الشعوبية. ودليلنا علي ذلك أن أصحاب هذه الفتنة غير عرب وبالتالي يرغبون في القضاء علي القومية العربية.
3. نشر الفساد والفوضى والمرض في المجتمع.
4. التحلل من القيود الدينية (إباحة المحرمات لنشر الفساد).
5. الوصول إلى السلطة عن طريق التستر وراء الدين.
6. إرضاء العملاء من الاستعمار وأعوانه وتحقيق أهداف الصهيونية.
7. طمس الحضارة العربية الإسلامية.
8. قتل الروح الدينية والقومية وإبطال مشروعية الجهاد حتى لا يشهر السلاح في وجه الأعداء.
9. تثبيت أفكارهم الرجعية المدسوسة والدعاية لها، والعمل علي اعتناقها.
10. تكفير المسلمين الذين لا يتبعون (هلوستهم) المتمثلة في تعاليم مزدك وماني.
11. إنكار الخالق، والبعث والحساب وزعمهم أن العالم موجود بنفسه.

القضاء علي الزندقة

القرآن الكريم المنزل علي محمد ـ صلي الله عليه وسلم ـ المنقول إلينا بالتواتر، المعجز في لفظه المتحدي به، من تمسك به فلا ضل، ولا زل، ولا قل، .ولا مل، حبل الله المتين ونوره المستبين، .وعد الله سبحانه وتعالى بحفظه، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (سورة الحجر/9) لذلك كان كيد الضالين المضلين في تباب وكيد المشككين في نحورهم، فلم تخل أمة من طائفة المشككين، وقد بين الله سبحانه وتعالي في كثير من آياته ذلك، فقال سبحانه: ﴿ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ (إبراهيم/9)، وقال عزّ من قائل: ﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ (سورة النمل/66) .

كما نهانا القرآن الكريم عن موالاة الكفار قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ﴾ (سورة المائدة/57)، وقال سبحانه: ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ (سورة الأنعام/70) وردّ القرآن الكريم على العدميين، فقال سبحانه:﴿ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ (سورة المؤمنون/82)، وقال سبحانه: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ (الجاثية/24)، ﴿ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً﴾ (سورة الإسراء/98).

أما السفسطائيون الذين ضاعوا في متاهات الشك دون الوصول إلي الحقيقة، لأن جدالهم مبني علي الباطل، فقد قال القرآن الكريم فيهم: ﴿ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُواً﴾ (سورة الكهف/56)، وقال سبحانه: ﴿ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾(سورة غافر/51)، وقال سبحانه:﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾(سورة الحج/3)، وهكذا قيض لهؤلاء المرضى من ألجمهم الحجة وقطع عليهم السبيل، فضلوا كالأنعام لا يكادون يفقهون حديثاً حيث تمت مقارعتهم بالقرآن الكريم، كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حكيم.

المواجهة بذات الأسلوب

وبذلك تكون المواجهة بذات الأسلوب، ولنضرب مثلا حقيقياً للماديين الذين لا يؤمنون بوجود الروح وأين هي؟ وكيف يمكن الحصول علي الجواب؟ عندئذ يكون

الجواب بالأسلوب ذاته، حيث يمكن إقناعهم بالتجربة الخاصة بالمصباح الكهربائي الذي إن أوصلته بالكهرباء بدأ ضوءه وحرارته، وإن قطعت عنه الكهرباء اختفى ضوءه وحرارته.

إن الزندقة تشكل خطراً علي المجتمع الإسلامي، ومواجهتها بالأسلوب ذاته أمر بديهي، ولكن يجب علي من يتصدى لهذه المواجهة أن يكون قادراً علي ذلك، يملك مواصفات تؤهله لأن يتصدر لمثل هذا الموقع، وإن القرآن الكريم هو العلاج الناجع للقضاء على كل أمراض المجتمع.

ملء الفراغ الديني

إن الفراغ الديني والجهل، وعدم الوعي، ومرحلة المراهقة غير الموجهة تربوياً تجعل بعض الشباب يجنحون لطريق الضلال بوساطة بعض المرضى الذين يزينون لهم الفكرة ويشجعونهم علي قبولها، ونتيجة لقلة الوعي الديني، والفراغ الديني، يجد المندس مكاناً خصباً يفرغ فيه سمومه القاتلة، سواء عن طريق بث السموم بالمخدرات أو عن طريق المخادعة، ونشر الأباطيل والتعاليم الفاسدة.

وعليه يجب ألا نترك أبناءنا أمام شرك المصيدة التي ينصبها هؤلاء المرضى، وذلك عن طريق ملء الفراغ الديني، بتعليم الشباب القرآن وعلومه وتفسيره التفسير العصري، وتوجيههم إلي الكتب الدينية النافعة حتى نخلق منهم جيلاً يؤمن بالله رباً وبالإسلام دينا، وبالعروبة وطناً، جيلاً يحارب الشعوذة، ويتصدى للزندقة، هذا المرض السرطاني الخبيث الذي يجب بتره حتى يشفى المجتمع من هذا الداء الوبيل.

إن الذين يتخذون الدين ستاراً لتحقيق مآربهم الشخصية هم الذين يجب أن نحتاط لهم، لأن الحذر من هذه الطغمة أمر بالغ الأهمية، حتى لا يتسلل كل من تسول له نفسه العبث بمصير الإنسانية، وبخاصة من الناحية التعبدية التي تربط العبد بخالقه.

القيمة الروحية للدين

أقام الله الحجة القاطعة علي كل من نظر في القرآن الكريم واعتبر به وعرف أسلوبه، وتدبر معناه وأحاط بأسباب نزوله، وأحكامه، وبمحكمه ومتشابهه ـ أنه ليس من صنع البشر،بل هو وحي الله سبحانه وتعالي، بلَّغه محمد ـ صلي الله عليه وسلم ـ إلى الناس امتثالا لأمر المولى ـ عزَّ وعلا ..

إن المتمعن في القرآن الكريم يجد أن هذا الدين متين ـ ولن يشادّ الدين أحد إلا غلبه ـ يخاطب العقل المستنير، ويخاطب الروح الصافية، ويخاطب الذهن الذي يبحث عن الخلاص من أدران المادية البغيضة، لقد وردت العقيدة في القرآن صافية صفاء الماء، كالإيمان بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر، وأصول الشريعة كوجوب الصلاة والزكاة والحج والصوم،وحرمة النفس، والعرض، والمال، أما فيما يتصل بالفروع فإن الإسلام اتسم بالشمولية، والشمولية تتسع لحرية الفكر العاقلة المتزنة، فهو دين روحي صالح لكل زمان ومكان، من الصعب تحديد قيمته في نفوس غير معتنقيه، لأن من ذاق عرف، ومن حرم انحرف.

دور المجتمع في التصدي لحركة الزندقة

إن دور المجتمع مهم جداً في هذه المرحلة التي تقتضي الوقوف في وجه الزنادقة بكل الطرق والوسائل مع التأكيد على ما يأتي:

1 - الالتزام التام بما جاء في القرآن الكريم (شريعة المجتمع).
2 - التسلح بالعلم والثقافة لإدحاض الحجج الواهية التي يقدمها العدو.
3 - الانخراط في كتائب الشعب المسلح للدفاع عن الدين والوطن والعرض.
4 - الالتزام بدور التعبئة الشاملة لقطع الطريق أمام الزنادقة.
5 - المحافظة علي الآداب والأخلاق الفاضلة ونشرها بكل الوسائل.
6 - التبشير بالنظرية العالمية الثالثة وأطروحتها الخالدة النابعة من الإسلام.
7 - محاربة الفساد بجميع أنواعه ومراقبة المنحرفين.
8 - رفع الروح الدينية والقومية لدى المواطنين عن طريق وسائل الذيوع.
9 - نشر المعرفة بين جميع أفراد الشعب.
10 - الدعوة إلي الوحدة العربية والتصدي لأعدائها، والدعوة إلي الوحدة الأفريقية، العمق الاستراتيجي.
11 - حماية الاقتصاد الوطني من الانهيار.
12 - محاربة ما يسمى بالسوق السوداء وقطع الطرق أمام قنواتها المظلمة.
13 - تنشئة هذا الجيل والأجيال اللاحقة على الفضيلة والصدق والإخلاص.
14 - الاهتمام باللغة العربية لغة القرآن الكريم ولغة الأجداد والتحدث بها وفرضها وسيلة للتخاطب والمعاملة طريقاً للفهم الصحيح للقرآن الكريم وتعاليمه.
15 - محاربة الغزو الثقافي وتدميره قبل أن يتغلغل في نفوس الشباب.
16 - تشجيع المعسكرات الصيفية، والنوادي والمراكز الشبابية والإشراف عليها

وتوجيهها وإثراؤها بالثقافة والفكر.

17 - العناية بالصحة العامة ومزاولة الرياضة، لأن العقل السليم في الجسم السليم.

18 - تشجيع المسابقات الرياضية والثقافية والفكرية لزيادة الثقافة ورعايةالمواهب، وذلك بفتح المنتديات الشبابية والمراكز الرياضية ومراقبتها.

19 - المحافظة علي التراث والاهتمام به، لأن الشعوب لا تنسجم إلا مع فنونها وتراثها.

20 - إحياء المناسبات الدينية والوطنية والقومية وإبراز ما فيها من معان وعظات وعبر.

21 - مراقبة الحدود والمنافذ والبوابات حتى لا تدخل السلع المحرمة وتنتشر في هذا المجتمع الطيب.

وأخيرا إن العروبة شامخة شموخ الجبال، لا تبالي بما يعمل أعداؤها في الظلام، إنها أقوي وأكبر من كل مخططات الأعداء، وقد تحقق هذا علي مر العصور، والتاريخ خير شاهد علي ذلك فقد سطر بمداد من الفخر والاعتزاز جهاد أولئك الأبطال الصناديد البررة علي مدي خمسة عشر قرناً من الزمان، يرفعون راية القرآن ويواجهون الطغيان، ويعمرون الأوطان، فجزاهم الله عنا خير الجزاء.

الخاتمة

لقد ابتلي كثير من الناس، وبخاصة الشباب منهم بأمراض العصر مثل تعاطي المخدرات أو المسكرات أو الغلو في الدين، أو التفريط فيه أي التقصير خلافا للإفراط الذي هو مجاوزة الحد[1]، وقد بين الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن العاجز من أتبع نفسه هواها وتمني علي الله الأماني، وإتباع النفس والهوى والميل إلى الشهوات أمر يأباه الدين قال تعالي: ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً﴾ (سورة النساء/27)، كما أن الشيطان الرجيم يوسوس في النفوس ويجري في الإنسان مجري الدم في عروقه، ويغري ضعاف الإيمان بالفساد والجنوح، ليبعدهم عن مرضاة الله، ويوقعهم في المهالك، ويلقي بهم في الردى قال تعالي: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(سورة المائدة/90)، ولا فرق بين الخمر والحشيش أو الأفيون، والأخيران أكثر ضرراً وأشد خطراً والعياذ بالله قال سبحانه:

(1) المفردات في غريب القرآن ص405.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (سورة المائدة/91).

لقد أوضح رسولنا الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ الطريق الصحيح في وصيته لابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عندما قال: (...اعلم أن الأمة لو اجتمعت علي أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله إليك، وإن اجتمعوا علي أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف)[1].

إن الدين الإسلامي مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالحياة، ومرتبط ارتباطاً وثيقاً بالواقع ومرتبط ارتباطاً وثيقاً بالسلوك والتعامل، فالإسلام دين الحياة، وهو كل لا يتجزأ، أنزله الله تعالى على عباده، ليخرجهم من ظلمات الجهل إلي نور الإيمان، قال العرباض بن سارية : (وعظنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ موعظة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقلنا يا رسول الله: إن هذه لموعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ قال: قد تركتكم علي المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، من يعش منكم فسيري اختلافا كثيراً فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ،عضوا عليها بالنواجذ...)[2].

ما أحوجنا إلي التمسك بتعاليم ديننا الحنيف وإتباع طريق الله القويم حتى نزيل الغشاوة من علي قلوبنا وأبصارنا قال تعالي: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (سورة المائدة/77).

وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (إن الدين متين، فأوغلوا فيه برفق، إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقي)[3] ، والمنبت هو الذي انقطع في سفره، وهلكت دابته وعجز عن تحقيق مقصده، أو الذي كلف نفسه ما لا يطيق من العبادة، وكان رسولنا ـ صلى الله عليه وسلم ـ يربي أصحابه علي المنهج الرباني الصحيح للعبادة والسلوك، ويحذرهم من المغالاة والغلو في الدين، ومما يروى عنه ـ عليه الصلاة و

(1) رواه الترمذي في أبواب صفة القيامة.
(2) جزء من الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده 4: 126 وابن ماجه 1: 14.
(3) رواه الإمام أحمد عن أنس بن مالك.

أزكـي السـلام ـ قولـه: (إنـي أخشـاكم للّه، وأتقـاكم لـه، لكـني أصـوم وأفطـر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)[1].

(1) رواه الشيخان.

المراجع

القرآن الكريم.
- صحيحا البخاري ومسلم.
- تاريخ الإسلام، حسن إبراهيم.
- الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني.
- الزندقة والزنادقة، عاطف شكري.
- الدولة العباسية، أبو زيد شلبي.
- فجر الإسلام، أحمد أمين.
- ضحى الإسلام، أحمد أمين.
- ظهر الإسلام، أحمد أمين.
- الفلسفة الإسلامية، طاهر عبد الحميد.
- الطبقات الكبرى، لابن سعد.
- مروج الذهب، للمسعودي.
- تاريخ الطبري، لأبي جعفر محمد الطبري.
- المخدرات والمؤثرات العقلية، د. علي محمد الرويعي.